باب البحث في التعليم

التعليم الديني

لا نعرف بلاداً إسلامية أثر فيها التفرنج كما أثر في مصر وأغرب مظاهر هذا التأثير ما جرى منذ أشهر من الخلاف بين المسلمين في تعليم الدين بالمدارس بل وفي فائدة تعليم الدين وعدم فائدته وامكان الاستغناء عن الدين في تهذيب الاخلاق وتربية النفوس

فتحت باب البحث في ذلك الجرائد وتبعها الناس كعادتهم فمن قائل ان موضع تعليم الدين البيوت لا المدارس وانه ينبغي للحكومة ان تبطل تعليم الدين من مدارسها ومن قائل ان ما يعلم في هذه المدارس كاف لا حاجة الى الزيادة عليه ، ويقابل هذا القول طلب اعضاء مجلس الشورى والجمعية العمومية زيادة التوسع في تعليم الدين بهذه المدارس . ووراء هذه الاقوال والآراء ما كتبه بعض الناظرين في آراء فلاسفة أوربا ونشر في جريدة المؤيد من بيان وجه الحاجة الى تعليم الدين و بيان الاستغناء عنه ومن قال بذلك من علماء الغرب

ومما يتشدق به المقلدون لأصحاب الآراء الفلسفية الناقصة قولهم إنه يمكن الاستغناء عن الدين بالتربية الادبية العقلية المبنية على الاقناع بضرر الرذائل ونفع الفضائل كأن يقول المعلم للتلميذ ان الكذب قبيح ومقترفه محتقر بين الناس لا يوثق بقوله ولا يعتد بشهادته ولا بخبره وأن الخمر ضارة تذهب بالصحة والمال . ومن هؤلاء من يرى ان هذه الطريقة أفضل من طريقة الدين المبنية على التخويف من عذاب الآخرة لان في هذا التخويف من اضعاف النفس وإيقاعها في الاوهام ما فيه على زعمهم

ومن أهل الدين الراسخ من يرى له شيئاً من اوهام المتفلسفة فصار يرى ان تعليم الدين والتربية عليه في الصغر ضار ولكنه يجب بعد بلوغ العقل أشده لان الدين عبارة عن فلسفة روحية والمبتدئ ليس أهلا لتلقي الفلسفة . . .

قد استعجل متفرنجو المسلمين جداً في حل مسألة التعليم الديني محل بحث ونظر واستعجل المتفلسفة منهم في الحكم بأن الاقناع العقلي كاف في تهذيب الناشئين ومغن عن الأخذ بالدين أو خير منه فان أمتهم من غلاة الملاحدة في أوربا لم يظفروا بإقناع شعب من شعوبهم برأيهم هذا ولا يزال جميع الأوربيين يقيمون بناء التربية والتعليم على أساس الدين على أن حاجتهم اليه دون حاجتنا لوجوه منها انتشار التعليم الأدبي والاقناعي في جميع طبقاتهم حتى ان بعض بلادهم لا يوجد فيها أمي ولا أمية ونحن عاجزون عن تعميم التعليم بدين أو بغير دين فهل من الصواب ان نجعل المتعلمين منا على قلتهم غير متدينين وهم القدوة لسائر الأمة ؟ أم الصواب ان يسعى هؤلاء النفر من المتفلسفة الى محو الدين من الأمة برمتها متعلمها وأميها ؟ وهل يظنون ان جميع أفراد الأمة يكونون حينئذ فلاسفة أو متفلسفين مثلهم يتركون الشرور لقيام الدليل العقلي على ضررها أو منافاتها للشرف ؟؟

قلما تجد أحداً من أصحاب هذا الرأي العقيم تاركاً للمعاصي والشرور لأنها ضارة بالمجتمع أو مخلة بالشرف ومن ترك ذلك ظاهراً لا يتركه باطناً الا من تربى منهم تربية دينية حقيقية طبعت في نفسه ملكات الفضائل طبعاً عجزت عن محوه نزغات الفلسفة الناقصة

يمكن ان يجمع الناشئ بين الاقناع والدين بأن يبين له ضرر الرذائل والمعاصي في سياق حكمة تحريمها و بيان محاسن الفضائل ومنافعها في سياق حكمة إيجابها أو استحبابها والا تعسر الاقناع أو تعذر لاختلاف الافهام في حقيقة الشرف والخير والشر والنفع والضر . فاذا قلت للناشئ ان الزنا قبيح أو مخل بالشرف لا يفهمه ذلك ان افهمه بأن يأتيه سرا لأن أمر الشرف منوط بنظر الناظرين ومعرفهم واذا قلت له انه خطر على الصحة لأنه مدعاة للاسراف أو مجلبة لبعض الأدواء لم يكن لقولك من التأثير ان أخذ بالتسليم الا العزم على الاقتصاد فيه والحذر من غشيان المصابات بالأدواء و يظن ان ذلك مما يسهل عليه وربما وجد من الناصحين من يقول له ان ترك ذلك العمل ضار بالصحة فكانت نصيحته أقرب الى القبول من نصيحتك . واذا قلت له ان لهذه الفاحشة عواقب اجتماعية كاختلاط الانساب

وقلة الفصل وإثارة الشرور بين المتنازعين فيها عند المشاركة : فلا تطمع منه ان عقل قولك بأن يترك لذته اثارة حباً بالمصلحة العامة . ولكن أكثر الذين يتربون تربية دينية صحيحة لا يستحلون الفاحشة و يستهينون بها كما يفعل من فقدوا ذلك ، وانك لتجد في كل بلد يدين أهله بحرمة هذه الفاحشة كثيرين يتقونها خوفاً من الله عز وجل على ضعف العلم بالدين وعدم التربية عليه ، ولولا الخرافات التي زلزلت العقائد وشوهت وجه الاحكام كالاعتماد على الكفارات والشفاعات والغفران لكان وقوع هذه الفاحشة من المتدينين من النوادر

وقل مثل ذلك في الخمر فان المتعلمين على الطريقة التي يطلبها المتفرنجون والمتفلسفون اعرف من غيرهم بما فيها من الضرر وهم مع ذلك أكثر شرباً لها من سواهم . وأضف الى ذلك جريمة القمار ، وما فيها من المضار ، على ان المتفرنجين والمتفلسفين منا لا يحرمون بعقولهم هذه الموبقات الثلاث التي يجاهدها فلاسفة أوربا بعقولهم وعلومهم أشد الجهاد ويعدونها شر غوائل المدنية الأوربية وهي لا تزداد بالرغم منهم الا انتشاراً

ان الجميع متفقون على قبح الكذب وضرره وانهم لأعجز عن اقناع الناشئين بتركه مهما قويت حجتهم من اضعف مرشد ديني وان لم يأت بحجة أو حكمة وراء النص وقصارى ما يبلغه قولهم من نفس من يقبله ان يحترس من الفضيحة بالكذب الجلي لا أن يتركه مطلقاً

أما زعم المتفلسفين أن تربية الدين قد تضر بالعقل أو النفس بما فيها من الارهاب والتخويف فهو زعم باطل لا يقوله الا من يجهل الدين والناس ، وسنبين ذلك في فرصة أخرى

وأما القول بان الدين فلسفة لا ينبغي أن يتلقاه الا المتعلم المستعد لتلقي العلوم العالية فله وجه وفيه قصور فان الدين له طرفان طرف أدنى وهو الهداية العامة لكل مكلف وان أمياً جاهلاً ، وطرف أعلى وهو كما قيل حكمة وفلسفة . والصواب أن يعلم التلاميذ في المدرسة الابتدائية ما يليق به من الطرف الاول ويترقى به تدريجاً — يعلم في السنين الأولى مع القراءة بالحكايات عن الاشياء ان الله تعالى هو الذي اعطى

كل شيء خلقه ثم هدى فاذا كان موضوع درسه في النحل مثلا يذكر له بعد شرح ما يليق بفهمه من حالها وأعمالها ان الله تعالى هو الذي خلقها وألهمها أن تعمل لحفظ حياتها هذه الأعمال ويترقى به في ذلك . ويعلم مع الالهيات على هذا النحو شيئا وجيزا من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأخلاقه وآدابه ويذكر له أن الله تعالى ميزه هو وأمثاله من الانبياء بعلم خاص بهم دون سائر الناس يهدون به الناس الى الحق والخير كما ميز النحل بعلم خاص بها لا يشاركها فيه غيرها واما العبادات فيجب أن يتعلمها الناشئون بالعمل لا بالقول وكذلك العامة اتباعا للسنة السنية « صلوا كما رأيتموني أصلي » رواه البخاري وأما تعليم المبتدئين فلسفة السنوسي وأمثاله في الالهيات كالصفات العشرين ، فهو من العبث الذي يعد جناية على الدين ، من يعتقده فاني معه أول المنتقدين ، والله على ذلك من الشاهدين ،

سألت أحد الفضلاء المستمسكين بالدين عن ولده لعله في الثانية عشرة أيصلي فقال لا أدعه يصلي الآن لانه لا يعقل معنى الصلاة فاذا بلغ السن التي يفهم فيها معنى الصلاة فانه يصلي .

هذا الوالد الذي يرى هذا الرأي من ابناء كبار الباشوات وقد تعلم في أوربا وتقلد بعض الاعمال العالية في الحكومة وهو يفهم من معنى الصلاة مالا يفهم اكثر أهل الازهر لأنه قرأ الاحياء قراءة استهداء ويقل فيهم من قرأه ، وكثير من مدرسيهم لا يعرف عدد اجزائه ولا رأى منها شيئا وهو على ما نعتقد غير مصيب . ولعمري انه ينبغي لمن يرى رأيا يخالف ما درجت عليه أمته أن لا يتعجل العمل به بل يبحث ويستشير ويناظر من يعلم أو يظن انهم أهل للبحث في ذلك لعله يرجع عن رأيه أو يمضي فيه على بينة تامة ولا يعتد في هذا المقام بتجربة الواحد والآحاد

نقول في الصلاة ما قلنا في الدين بجملته ان لها طرفا أدنى وطرفا أعلى ومن فوائد حمل الناشيء المميز على الصلاة تعويده الطهارة والوضوء ومنها توليد الشعور الاجمالي بالعبادة في قلبه وهذا شيء عرفناه بنفسنا ورأينا أثره في غيرنا ممن تربوا

تربية دينية فلا يصح لمن لم يدقه ان ينكره ، ومنها تعويده المحافظة على المكتوبات في أوقاتها فان كل عمل يؤدى بنظام في أوقات معينة يحتاج فيه الى التعويد في الصغر فقلما يحافظ الانسان على عمل منتظم لم يتعوده وان هو اعتقد نفعه في الكبر فأنا اعتقد أن الرياضة البدنية من الضروريات التي الاهمال القتلة مثلي واستحث عزمي للارتياض كل يوم فلا تواتيني الا في بعض الايام وانني اعاتب نفسي منذ سنين على هذا الاهمال والتقصير ولو لم أكن مواظبا على الصلاة من الصغر لما بعد ان أترك بعض أوقاتها تكاسلا أو تأولا

ومن فوائد المواظبة على الصلاة قبل البلوغ أن المواظب عليها لا يقع بعد البلوغ في مهلكة الشبان التي يعبر عنها كتاب المصر بالعادة المضرة وناهيك بشرورها ومضارها واذا هو اجترحها لا يفرط فيها فان لم يتركها لأنها محرمة امتنع من الاسراف فيها استثقالا لتكرار الغسل وهذا ضرب من ضروب نهي الصلاة عن الفحشاء والمنكر والناس عنه غافلون

﴿ تعليم الدين في المدارس المصرية ﴾

بحث قوم في تعلم الدين بمدارس الحكومة ، فمنهم من قال بوجوب الزيادة فيه ومنهم من قال ان ما فيها كاف ، ومنهم من قال انه لا ينبغي ان يعلم الدين في المدارس وانما موضع تعليمه البيوت وهم يعلمون ان تعليم البيوت منوط بالنساء وان النساء المصريات لسن على شيء من علم الدين ولا من علم الدنيا الذي يؤخذ بالتلقين . وقد رددت الجرائد هذه الاقوال ولم أرفيها قرأته فيها بيانا صحيحا لما يجب أن يكون عليه هذا التعليم في هذه المدارس ولا في غيرها . وقد طلبت الجمعية العمومية من الحكومة التوسع في تعليم الدين بمدارسها فقررت نظارة المعارف زيادة دروسه في المدارس الابتدائية فانتقدت ذلك الجرائد التي لا يرضيها من الحكومة شيء ولم تبين ماهو الصواب . وعندنا أنه يجب ان يكون معظم هذه الدروس في سيرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم في سيرة الخلفاء الراشدين ان اتسع لها الوقت والا كانت عبثا

وقد وجد القبط فرصة في هذه الايام لطلب كان قد سبق لهم فلم يجب فطلبوه فأجيب الآن ، وهو ان تعلم الديانة النصرانية في هذه المدارس أيضا . وقد عدت

إجابتهم الى هذا الطلب غريبة اذ لا يعهد تعليم دينين في مدارس حكومة من حكومات الأرض بل لا تسمح حكومة أوربية ان يعلم في مدارسها مذهب من مذاهب الديانة المشتركة بين أهل المملكة غير مذهب الحكومة أعني ان حكومة انكلترا التي تدين بمذهب البروتستانت لا تسمح لرعيتها من الكاثوليك ان يعلموا مذهبهم في مدارسها

وجم المسلمون لهذا العمل وكثر كلامهم فيه ولو خاضت الجرائد فيه لكان هو الشغل الشاغل للقطر كله ولكنها سكتت لما تعلم ويعلم سائر العقلاء العارفين بالمآزق التي وضعت فيه نفسها . وقد سألني كثير من المتفكرين عن رأيي في ذلك وكان منهم بعض المدرسين في المدارس والازهر فقلت ما حاصله : إن للمسألة وجها دينيا ووجها سياسيا فهي من الوجه الديني نافعة للمسلمين لأن التعليم الديني في المدارس كان نائما فهي توقظه أو كان ميتا فهي تنفخ فيه شيئا من روح الحياة . وأما من الجهة السياسية فهي ضارة بهم لأنها من أمارات كون الحكومة ليست إسلامية والذنب في هذا على أهل الشغب من المسلمين الذين أخذوا على أنفسهم مناصبة القوة المحتلة وإظهار العدوان لها ومحاولة اقناع الجمهور بذلك وبأن كل من يعمل معهم أو يعرفهم فهو عدو للوطن خائن للأمة . ومن العجائب ان هؤلاء المشاغبين قد ظلموا اسم الاسلام والمسلمين إذ مزجوه بكلامهم وأدخلوه في سياستهم الأفينة حتى ظلموا المسعى لا بتعليم دين آخر في مدارس الحكومة فان هذا نافع له غير ضار به كما قلنا آنفا ولكن بما أحدثوا في نفوس الأوربيين من ان المسلمين يريدون الاجتماع باسم الاسلام لمقاومة سلطتهم في الشرق وهذا غير صحيح وإن نجح بما يدل عليه طلاب المال والجاه باسم الاسلام ومصر وقد رأينا بوادر شرور سياستهم ونعوذ بالله من أواخرها

ويظن بعض الناس ان تعليم النصرانية في المدارس ربما يكون مثاراً للتعصب الديني الجاهلي ونظن انه لا خوف من ذلك . ويظن بعضهم أن هذا يكون سببا لترك التلاميذ من القبط لحضور دروس القرآن وحفظ ما يحفظ عادة منه وان ذلك يكون نقصا في اكتسابهم ملكة اللغة العربية وهذا معقول ولكن أكثرهم لا يتركون القرآن فيما أظن